من تراب الطريق! (٢٨٤)

من قصيدة المرجان (*)

فى الحديث الخامس لقصيدة " المرجان "من ديوان "العارف" للشاعر المحامىوالأديب الفقيه الضليع محمد عبد الله محمد، يطوف شاعرنا الحكيم بأحوال الإنسان الذى لا يحس بقيمة الثمين وسط الزحام، بل ويفتح بابه للبخس المألوف، ويمضى به العمر دون أن يدرك مافاته ووقع فيه إلاّ بالحزن والتأنيب عند الصحوة !

وكم يحس صاحب الفكر بالإحباط، وتعتصر قلبه الأحزان على ما يلاقيه، فى دنيا حل فيها الخوف وفروعه وجذوره محل الصدق والشجاعة ! .. وحين يرى كيف يمكن أن تتحول السلبيات بالصبر إلى نعم، ويتوارى الجلد والمجاهدة الصادقة فى سبيل الحق والكمال والجمال - يقول الشاعر الحكيم محمد عبد الله محمد :

قد لا نُحِسُّ بالثمين مَعَنَا ... إذْ قد يغيبُ فى غِمار الزحمةِ
وقد يمرُّ كالغريب وَجِلاً ... أو كالضريرِ بين خُبثِ الصبيةَ
وقد يَدُقُّ البابَ لا يدْخُلُهُ ... ويدخُلُ المألوفُ فَوْرَ الدقَّةِ
وكم يفوت العُمْرُ لا ندركُهُ ... بالحزنِ والتأنيبِ عِندَ الصحوةِ

* * *

هذى غضُون الذهنِ لا تتركُهُ ... إذْ بناتُ الذهْنِ فيها تَلْعَبُ
يجرِى على آثارِها يستَبِقُ ... صاحبُ الأفكارِ أنَّى تَذْهَبُ

(*) المال٢٥/٦/٢٠٠٩

تَعتَصِـر القلبَ وقـد تَنهَشُـهُ كم لهـا فيـه نُيـوبٌ تُنشَـبُ
قد عقَلْتَ الخوفَ كـى ترهَبَهُ عقلُكَ المسئولُ وهْـو المذنِـبُ !!

* * *

إن ما حقَّـقَ هذا الآدمـىَ فيه للخـوفِ فـروعٌ وجـذورْ !
حَسَّنَ الدنيا بما حَسَّنَهـا وهْى فى العقل على الخـوف تدُورْ
زادها الخوفُ فنونـاً عندمـا كَثُـرَتْ فيـه جُيُـوبٌ وبُـذورْ
تملأ الأرضَ بما يملؤنـا بكلامٍ وحُطـامْ وقشـور وقبورْ

* * *

قَادَكَ الخَوْفُ إلى الصَّبر علَـى عَضَّـةِ الذئـبِ وسُـمِّ الحـيَّةِ
ومَضىَ الوقتُ فصَارتْ نَعِمـا وعلى العاقل شـكرُ النِّعمـةِ
ولقد تَفْخَرُ إذ تَذكُرُهَـا ولقـد تَخشَـى حَسـودَ النَّظْـرةِ
وَمن الخوفِ على الخَوفِ نَمـاَ عندَك الحِرصُ وحُسْنُ النيـةِ !!

* * *

إنّ هَذين علـى طَوْقِهِمَـا صارَعَـا الموتَ وخاضا اللَّجَاجَـا
هَل صَفَـا القلبان لا بل حَفِظَـا سالفَ الخوْفِ وكَفَّـا الوهَجَـا
شِدَّةُ العـزمِ كَسَتْنَـا جَلَـداً ربما تُبْذَلُ فيـهِ المُهَجَـاَ
وإذا تَبْحَـثُ فـى داخِلنَـا بذرةُ الخَوفِ لمن قـد حَلَجَـا!!

* * *

خَافَ بعضُ الناس من أنفسهم خاف أن تَحسُـد عينٌ أُختَهـا
الرُّقـىَ تُتْلَـى وقـدْ تنفعنـَا شـاعَ فـىَّ الأمنُ لمَّـا قلتُهـا
نَحفَظُ الخوفَ بما نُطْعِمُـه مثلمـَا تَحفـظُ أُمٌّ بنتهَـا
خالَ صوتُ الخوفِ فى ناصِحنا دون أن تَسْمعَ نَفْسٌ صوتَهـا

* * *

انفضْ الجيْـبَ فَلَـن تَمْـلأهُ بسوى الشوكِ وقِشْـرِ الأمَـلِ
تَغْلِب الخـوفَ إذا تَعْرِفُـه إنـه فكـرُك فـى المُحتَمَـلِ

أرخِ الرأسَ مِنَ الحَمْلِ فَمَـــا يِلِـدُ الراحةَ ذِهْـنُ العَجِـــــلِ
وَكِلِ القـلبَ إلـى فِطرتِـــهِ إنهُ يُحسِنُ سَيْرَ المَهَـــــلِ !

* * *

لم يزلْ جُوَّاكَ خَوْفُ القَرْيَـةِ ما نما عِنـدكَ حِسُّ العَالَـــمِ
وجَّـهَ القومَ بنَـانُ الغابِـــرِ ومَشَـى فيهم ضَريـحُ النائِـــمِ
وحكايـــات عليهم يَبِسَـــتْ مثلَمـا جَـــفَّ لسانُ الصائِـمِ
طَـارَ لُبُّ القَوْمِ فـى قِشْرَتِهم إنْ رأوْا ظِـلَّ قُـدوم القـادِمِ